هذه — في حدود ما أعرف — وظيفة الوثيقة حين تضاف كملحق لاي دراسة ، على ان يقوم الباحث باستخراج ما يريد قوله استنادا لهذه الوثيقة واضافته الى دراسته . لقد اتبع الاستاذ رؤوف سليم المنهج العلمي الصحيح في تسجيل الوثائق وفي التقديم لها ، ولكنه لم ينجح بالشكل المطلوب في القاء ظلال ذلك على دراسته الرفيعة المستوى ، أقصد في صلبها أو في متنها .

مرة اخرى ، كل هذه الملاحظات لا تنقص كثيرا من تقويم هذه الدراسة . واذا كان عرض اي كتاب او نقده لا يمثل اكثر من وجهة نظر شخصية للعارض او الناقد ، فاني لا املك نفسي من القول بأن هذه دراسة جديرة بأن توصف بأنها لا يمكن ان تغيب عن مكتبة اي مهتم — فضلا عن أي باحث — في الشؤون الصهيونية ونشأة الحركة الصهيونية وتطورها . انها تعتبر بأي مقياس دراسة رفيعة المستوى ، لم يكن ينقص صاحبها الا بعض الاجادة في « صناعة » الكتابة وفنها ، ليقدم لنا دراسة فريدة في موضوعها .

عبدالعال الباقوري

Stewart, Desmond : **Theodor Herzl.** (Doubleday - New York 1974).

قبل ان احصل على هذا الكتاب ، قرأت في احدى الصحف البريطانية مراجعة له بقلم حاييم بيرمانت ، كان ابرز انتقاد فيها يدور حول ما اعتبره بيرمانت تركيزا زائدا على الناحية الجنسية في حياة هيرتزل . الا ان قراءتي للكتاب اثبتت لي تجني بيرمانت على ستيوارت ، وكذلك اوضحت لي اسباب الامتعاض الذي استقبل به المعلقون الصهيونيون هذه السيرة الجديدة . فان ستيوارت قد وجه الضوء الى الزوايا المظلمة في حياة هيرتزل ، وهو اذا لم يكن قد استكشف خفاياها كلها ، فهو على الاقل قد اخرج مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة من هالة التمجيد التي احاطه بها سائر المؤرخين ومؤلفي السيرة ، وقدمه الى القراء بدون رتوش .

ذكر ستيوارت في مقدمة كتابه انه استوحى فكرة تأليف كتاب عن حياة هيرتزل من دراسته لتاريخ الشرق الاوسط في الحقبة الممتدة بين افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ وعصرنا الحالي (وهي الفترة التي الف عنها ستيوارت كتابا يدعى : معبد جانوس) . فقد استحوذ هيرتزل على اهتمامه البالغ ، وذلك للغموض الذي احاط بشخصيته . فقرر ان « يستكشف حياة هذا الانسان الذي عاش من ١٨٦٠ الى ١٩٠٤ ، والذي جمع في شخصه صفات الحالم ورجل العمل الى درجة فريدة ، دون ان يساهم (اي ستيوارت) في الجدل الدائر حول الحركة السياسية المرتبطة بهيرتزل ، فيدلي برأي لها او ضدها » .

والواقع ان هيرتزل يشكل مادة فريدة لكاتب السيرة ، لا سيما اذا جاء الاخير بعد سلسلة من المؤلفين الذين قاموا ، بحكم انتمائهم السياسي ، بعملية تنقيح وترتيب في الوقائع والدوافع ، غازلوا واخافوا ، وتلاعبوا بالاخذات ، وكل ذلك لكي يخرجوا بصورة لبطلهم تختلف اختلافا كبيرا عن الواقع . وقد اضطر ستيوارت الى ان يلعب دور المخبر ومقتفي الاثر من اجل ان يصل الى الحقيقة ، او الى جزء منها ، على الاقل . فزار بودابست حيث ولد هيرتزل ، وزار فيينا حيث اقام معظم حياته . كما طاف بباريس ولندن ونيويورك والقاهرة ، يجمع المعلومات ويدرس خلفية الموضوع . والنتيجة هي كتاب عميق يخلو من الافكار المسبقة بقدر ما هو غني بالمعلومات التي تساهم في استجلاء الغموض حول حياة هيرتزل ، وبالتالي حول العقلية التي انجبت العقيدة الصهيونية الحديثة .